

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبا عن الناس فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أي تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحين [سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله فذكر منهم رجلا دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله] ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه [وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا طالوت بن عباد حدثنا الحارث بن عبيد عن ثابت عن أنس قال :] قالوا يا رسول الله إنا نكون عندك على حال فإذا فارقناك كنا على غيرك قال : كيف أنتم وربكم ؟ قالوا : الله ربنا في السر والعلانية قال : ليس ذلكم النفاق [لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعلمه ثم قال منبها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر] وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور { أي بما يخطر في القلوب . } { ألا يعلم من خلق ؟ } أي ألا يعلم الخالق وقيل معناه ألا يعلم الله مخلوقه ؟ والأول أولى لقوله : { وهو اللطيف الخبير } ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيرهم لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهياً فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار فقال تعالى : { هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها } أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا إلا أن يبسره الله لكم ولهذا قال تعالى : { وكلوا من رزقه } فالسعي في السبب لا ينافي التوكل كما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول : إنه سمع أبا سهم الحبشاني يقول : إنه سمع عمر بن الخطاب يقول : إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [لوأنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا] رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة وقال الترمذي : حسن صحيح فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله وهو المسخر المسير المسبب { وإليه النشور } أي المرجع يوم القيامة قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة : مناكبها أطرافها وفجاجها ونواحيها وقال ابن عباس وقتادة أيضا : مناكبها الجبال وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عمرو بن حكيم الأزدي حدثنا شعبة عن قتادة عن يونس بن جبیر عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية { فامشوا في مناكبها } فقال لأُم ولد له : إن علمت ما مناكبها فأنت عتيقة فقالت : هي الجبال فسأل أبا

الدرءاء فقال : هي الجبال